الفصل الثالث: مفاهيم خاطئة للولاية

ذكرنا آنفاً فى الفصل السابق مفاهيم عديدة عن الولاية وهذه المفاهيم إن كانت قد تعددت وتنوعت إلا أنها تصب فى معنى واحد وهو معنى العبودية الحقة بين الولى وربه هذا المعنى الذى يخرج بعقل الإنسان عن ظلمات الضلال والشرك، فلا ينبغى لبشر مهما بلغ من الفضل والكرامة أن ينازع الله صفة من صفاته لأن الله سبحانه هو الخالق المتصرف فى الكون وحده، كما أن أقرب الناس من الله تعالى وأخلصهم إيماناً هم أصدقهم عبودية لله سبحانه وهذا هو جوهر الدين الحق الذى ارتضاه الله لنفسه والذى قال تعالى فيه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾(١) ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ (٢)· وأمرنا الله تعالى أن نتبع الرسول محمداً ﷺ عبد الله رسوله ونهتدى بهديه ونستن بسنته ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(٣) ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾(٤) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منهم واحدة»، قال رسول الله ﷺ: «الذين هم على ما أنا عليه وأصحابى»(٥)· وهؤلاء هم المتمسكون بالسنة النبوية أما الفرق الضالة التى خرجت عن حظيرة الإسلام وتعاليمه فكان أولها خروجاً على الإسلام هم الخوارج(٦) الذى خرجوا على

---

(١) المائدة: ٣ .
(٢) آل عمران: ٨٥ .
(٣) التغابن: ٨ .
(٤) التغابن: ١٢ .
(٥) رواه الأربعة وأحمد فى المسند والحاكم فى المستدرك، والهيثمى فى الزوائد (١٨٩/٢) والخطيب البغدادى فى تاريخه والهندى فى كنز العمال.
(٦) الخوارج: هم كل من يخرج علي الإمام الحق الذى اتفقت عليه الجماعة وهى أول فرقة انشقت عن المسلمين حيث خرجوا علي علىّ ورفضوا التحكيم وحاربوه والخوارج يحكمون علي مرتكب الكبائر أنه كافر يحل دمه وماله وهى تنقسم إلي فرق كثيرة منها: الأزارقة والأباضية والبيهسية .(الملل والنحل للشهرستانى) .

الإمام على رضى الله عنه وحاربوه ووصل الأمر ببعضهم أن كفروا علياً وعثمان وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم أجمعين، وظهر أهل التشيع وأهل الزيغ والضلال وظهر منكرو السنة الذين ساروا وفق أهوائهم ورغباتهم وأخذوا يحاربون الإسلام ويمكرون بأهله ويتربصون بهم الدوائر ويغرسون فى النفوس الضعف والوهن فوقع الكثير من غير المتثبتين ومرضى القلوب فى حبائلهم فأصبحوا ضحية للأكاذيب والخرافات، وانتشرت البدعة(١) والتبس الحق بالباطل ولا حول ولا قوة إلا بالله..

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الغلو فى الأمة وقع فى طائفتين: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون فى الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية، وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك فى الأنبياء والصالحين، فمن توهم فى نبينا ﷺ أو غيره من الأنبياء عليهم السلام شيئاً من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى، وإنما حق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم قال تعالى:﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** ﴾(٢) فهذا فى حق الرسول، ثم أتبع الله ذلك بقوله فى حقه تعالى:﴿**وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾(٣) فقد بيَّن الله فى كتابه الكريم فى أكثر من ثلاثين موضعاً حقوق الرسول من الطاعة والمحبة والتعزير والتوقير والنصرة والرضا بحكمه واتباعه وتقديمه على النفس والأهل والمال، أما العبادة والاستغاثة فلله وحده لاشريك له لقوله تعالى:﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾(٤) وقوله تعالى:﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾(٥) وقوله تعالى:﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ**

(١) قال رسول الله ﷺ :«فإن كل بدعة ضلالة» . [رواه أحمد فى مسنده وأبو داود والترمذى وابن ماجه فى سننهم] ويقول ابن تيمية في مجموعة الفتاوى: إن البدعة لها مفاسد عظيمة هى: ١ـ أنها تكذب قول الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) لأن صاحب البدعة يعتبرها ديناً جديداً لايكتمل الدين إلا به . ٢ـ تعيب على المسلمين الذين لم يأتوا بها . ٣ـ من اشتغل ببدعة انشغل عن سنة لقول السلف: ما أحدث قوم بدعة إلا هدموا مثلها من السنة: ٤ـ هذه البدعة توجب تفرق الأمة لأن هؤلاء المبتدعين يعتقدون أنهم على الحق وسواهم على الضلال.

(٢) الفتح:٨،٩ . (٣) الفتح:٩ . (٤) النساء: ٣٦ (٥) الفاتحة : ٥ .

﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(١) وأمر بالتوكل عليه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٢) والدعاء له وحده سواء كان دعاء عبادة أو دعاء استغاثة ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(٣) فالعبادة والاستعانة وما يدخل فى ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا لله وحده لاشريك له فالعبادة متعلقة بألوهيته والاستعانة متعلقة بربوبيته وهى أمور خاصة بالله وحده لا لنبى ولاملك ولاغيرهما ومن جعل لغيره نصيباً فى عبادته وتوكله والاستعانة به فقد أشرك وخرج عن جوهر الدين وهو التوحيد والإخلاص فى العبادة له وحده فلايجوز التقرب بالنوافل لله عن طريق العبادة لقبر نبى أوصالح فلا يصلى ولا يتصدق إلا لله ولايصام أو يحج إلا له وحده ولايحلف بغيره ولاينذر لغيره وهذه كلها دعوى المشركين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾(٤) وكُلُّ من قال أو عمل هذا فهو مشرك(٥).

فقد أمرنا الله تعالى أن نطيع أوامر الله ورسوله وأن نبتعد عن كل ما نهى عنه الله ورسوله وهذا هو الطريق المستقيم قال تعالى:﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾(٦) وقال النبى ﷺ:«اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون» (٧). لهذا قال السلف: من فسد من العلماء ففيه شبه من اليهود ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى، فمن دعا إلى العلم دون العمل المأمور به كان مضلاً ومن دعا إلى العمل دون العلم كان مضلاً، وأضل منهما من سلك فى العلم طريق أهل البدع فيتبع أموراً تخالف الكتاب والسُّنة يظنها علوماً وهى جهالات وكذلك من سلك فى العبادة

---

(١) البينة :٥ . (٢) إبراهيم: ١٢ . (٣) الجن: ١٨ .
(٤) الزمر:٣ . (٥) ابن تيمية فى مجموعة الفتاوى(١ / ٥٢)
(٦) الفاتحة:٦، ٧
(٧) رواه الترمذى فى سننه (٢٩٥٤) عن عدى بن حاتم، وقال: حسن غريب، ورواه أحمد فى مسنده، وابن حبان فى صحيحه.

طريق أهل البدع فيعمل أعمالاً تخالف الأعمال المشروعة يظنها عبادات وهى ضلالات، فالطريق المستقيم يشتمل على علم وعمل: علم شرعى وعمل شرعى، فمن علم ولم يعمل بعلمه كان فاجراً، ومن عمل بغير علم كان ضالا(١).

أعاذنا الله أن نشرك به ماليس لنا به علم وندعوه أن ينقّى قلوبنا ونفوسنا من آفة الشرك.. إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

نظرة غلاة الصوفية للولى:

يقول ابن تيمية إن لفظ التصوف لم يكن مشهوراً فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة وإنما اشتهر التكلم به على لسان بعض الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد والدارانى وسفيان الثورى والبصرى، ويقول إن كلمة الصوفية نسبة إلى لبس الصوف وهو القول المعروف وينفى نسبتها إلى أهل الصفة أو أن يكون الاسم من الصف المقدم بين يدى الله أو أن ينسب إلى الصفوة من الخلق أو إلى صوفة بن بشر(٢). وأول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (٣) حيث كانت البصرة تشتهر بالزهد والعبادة عن غيرها، وقد قال ابن سيرين فيهم لما بلغه أمر لباسهم الصوف تقشفاً وتشبهاً بالمسيح عليه السلام فى الزهد فقال: هدى نبينا ﷺ أحب إلينا وكان ﷺ يلبس القطن وغيره(٤). ثم ظهرت بعد ذلك بعض

---

(١) ابن تيمية فى مجموعة الفتاوى (١/٥٤).

(٢) كانت تنسب إليه قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة.

(٣) هو عبدالواحد بن زيد أبو عبيدة البصرى شيخ الصوفية وواعظهم وقد لحق الحسن البصرى وغيره وهو متروك الحديث عند البخارى والنسائى وقال الجوزجانى: هو سيىء المذهب ليس من معادن الصدق توفى عام ١٥٠هـ، وقال أبو جعفر العقيلى فى الضعفاء الكبير: إنه ليس من أهل العلم بالحديث فالعلم بالحديث شىء والصلاح والتعبد شىء آخر، وقال ابن حبان فى المجروحين: كان يغلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فيما يروى فكثرت فى رواياته المناكير[سير أعلام النبلاء (٧ / ١٧٨- ١٨٠)، الذهبى فى ميزان الاعتدال (٢ / ٦٧٢،٦٧٣)، الكامل فى ضعفاء الرجال (٥ / ٣٠١)].

(٤) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (٦ / ٨).

الأبحاث الصوفية والنظريات والتعاليم التى تواضعوا عليها وأخذت فى التزايد والنمو وقد استفادوا فى هذه الأبحاث من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء مما أدى إلى تطور فكرهم كما طغت عليهم الفلسفة أكثر من التصوف نفسه وأصبحوا يعتقدون فى مسائل فلسفية لا تتفق مع مبادىء الشريعة مما أثار عليهم جمهور أهل السنة الذين أخذوا يحاربون التصوف الفلسفى ويؤيدون التصوف الذى يدعو إلى الزهد والتقشف، ودخل فى التصوف رجال من غير أهله تظاهروا بالزهد والورع حتى أن منهم جهالاً يشرفون على الطرق وتربية الأتباع وقصرت التعاليم الصوفية على الأوراد والأذكار وقليل من الأبحاث فى مجال التفسير والحديث (١) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قد اختلف الصوفيون فى عباداتهم واجتهاداتهم فتنازع الناس فى طرقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا هم مبتدعون وخارجون عن السُنة وطائفة غلت فيهم وادَّعت أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء. ويقول ابن تيمية: وكلا هاتين الطائفتين ذميم الرأى، والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله فمنهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ومنهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء ويذنب فيتوب أولا يتوب، وهناك من انتسب إليهم وهو ظالم لنفسه عاصٍ لربه من أهل البدع والزندقة، والصواب أن يعلم المسلم أن خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وخير القرون القرن الذى بعث فيهم وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ماكان عليه هو وأصحابه فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو أحد العباد النساك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطىء مبتدع فما بالك ببعض طوائفهم التى تفاضلهم بالأنبياء عليهم السلام، وكذلك من جعل كل مجتهد فى طاعة أخطأ فى بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً فهو مخطىء ضال مبتدع لأن الله تعالى أمر المؤمنين بتقواه

(١) التفسير والمفسرون للذهبى (٢/٣٦٦/٣٦٧).

بحسب اجتهادهم ووسعهم لقوله تعالى:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(١) وقوله تعالى:﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(٢).

ويمكن تقسيم الصوفية من غير أهل البدعة والزندقة إلى ثلاثة أصناف:

١ـ صوفية الحقائق: الذين تتحقق فيهم أفضل صفاتهم.

٢ـ صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الأوقاف.

٣ـ صوفية الرسم: وهم الذين يأخذون من التصوف الظاهر فقط كاللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك، وهم ليسوا منهم بحيث يظن الجاهل أنهم منهم وهم ليسوا منهم، لكن يشترط فيمن يدعى التصوف ويتخلق بآدابه أن تتوافر فيه صفات ثلاث وهى:

١ـ التأدب بالآداب الشرعية وتجنب الآداب البدعية الوضعية.

٢ـ العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

٣ـ الزهد فى الدنيا .(٣).

أما الغلاة أهل البدعة من المتصوفين فيعتقدون فى الأولياء عقائد شتى فمنهم من يفضلهم على الأنبياء ويجعلهم فى درجة تفوق درجة النبى وهذا ضلال بين ويقول ابن تيمية يدعى بعض الملاحدة أن الولاية أفضل من النبوة ويلبسون ذلك على الناس فيقولون إن ولاية النبى ﷺ كانت أفضل من نبوته وينشدون :

مقام النبوة فى برزخ ... فويق الرسول ودون الولى

ويتمادون فى ضلالهم قائلين: نحن شاركناه فى ولايته التى هى أعظم من رسالته وهذا من أعظم ضلالهم لأن ولاية محمد ﷺ ونبوته لم يماثله فيهما أحد ممن سبقه من الأنبياء فكيف يماثله هؤلاء الملحدون (٤).

---

(١) التغابن :١٦ . (٢) البقرة: ٢٨٦ .

(٣) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (٦ / ٨ ـ ١٤).

(٤) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (١١ / ١٢٦، ١٢٧).

فالفرق بين الأنبياء وغيرهم أنه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عزوجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف سواهم من الأولياء فإنهم لاتجب طاعتهم فى كل ما يأمرون به ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسُّنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالفهما كان مردوداً.

وزعم ابن عربى فى كتابيه «الفتوحات المكية»، و«الفصوص» وجود خاتم الأولياء قياساً على خاتم الأنبياء وهو آخر الأولياء وزعم أنه أفضل من خاتم الأنبياء ويرد ابن القيم عليه أنه قد خالف الشرع والعقل، ذلك لأن الأنبياء أفضل خلق الله تعالى وأن خاتم الأنبياء أفضلهم ﷺ بما ثبت من نصوص دالة على ذلك من كتاب الله وسنته ﷺ، لكن آخر الأولياء ليس أفضلهم وذلك لأن أفضل البشر بعد الأنبياء هم الصحابة رضوان الله عليهم وذلك ثابت أيضاً فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعالى:﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾(١)، كما أن بعضهم يشرك بالله حيث يعتقدون فى الأنبياء والأولياء صفات الإلوهية فهم عندهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون ويتصرفون فى الكون فى بره وبحره، ويقول ابن تيمية: ويبرهنون على ذلك عن طريق أقوال كاذبة ينسبونها إلى النبى ﷺ وهى أحاديث ملفقة مكذوبة ليس لشىء منها أصل البتة ولاتوجد فى كتاب ولارواها قط أحد ممن يعرف الله ورسوله ﷺ مثل:«أنا من الله والمؤمنون منى»، وهذه كلها أقوال تدعو إلى أن يكون الخلق جزءاً من الخالق وهو ما يسمونه التوحد فى ذات الله وهى أقوال يدسها أعداء الله من النصارى وغلاة الرافضة وجهال المتصوفين، من اعتقد فى صحتها فقد كفر لأن الرب رب والعبد عبد ليس فى ذاته شىء من مخلوقاته ولا فى مخلوقاته شىء من ذاته(٢).

---

(١) النساء: ٦٩ .

(٢) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (١ / ٤٤، ٤٥).

والكون عندهم يقوم على أقطاب أربعة يمسكون الأركان الأربعة للعالم بأمر الغوث، ويعتقدون في وجود الأبدال السبعة حيث يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع كما يعتقدون في وجود النجباء الذين يتحكمون في المدن والقرى، كما يعتقدون أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم إلى النجباء الثلاثمائة، والثلاثمائة يرفعونها إلى النقباء السبعين، والسبعون إلى الأبدال الأربعين، والأربعون إلى الأقطاب السبعة، والسبعة إلى الأوتاد الأربعة، والأربعة إلى الغوث وهو من يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم ويقول ابن تيمية: من قال بذلك فهو كاذب ضال مشرك حيث قال تعالى:﴿ **وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾(١) وكيف يرفع المؤمنون دعاءهم وحوائجهم إلى الله عن طريق عدة وسائط وهو القائل سبحانه:﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾(٢) وقال النبي ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالدعاء:«أيها الناس إنكم لاتدعون أصم ولاغائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(٣) (٤). كما أن هذه الأسماء العجيبة التي ذكرناها آنفاً مثل: الأوتاد والنجباء والأقطاب.. والتي تدور على ألسنة الكثير منهم وترتبط بأعداد معينة مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو القطب الواحد فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ لكنهم يعتمدون في ذلك على حديثين أحدهما ينسبونه إلى النبي ﷺعن طريق غلام المغيرة بن شعبة يقول فيه:«.. هذا واحد من السبعة» وقد رواه أبو نعيم في الحلية وهو حديث كذب باتفاق أهل العلم، والآخر ما روى في المسند عن علي بن أبي طالب في لفظ الأبدال أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام وهو حديث منقطع ليس

---

(١) الإسراء: ٦٧ . (٢) البقرة: ١٨٦ .
(٣) رواه البخاري في صحيحه في باب الجهاد .
(٤) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (١١ / ٢٣٧، ٢٣٨).

بثابت وكثير غيرها من الأقوال الكاذبة والأحاديث الملفقة التى يطلقها أهل الكذب والافتراء (١).

هذا وقد خالف معظم الصوفية أمر الله تعالى وزكُّوا أولياءهم على الله ونسوا قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾(٢) وقد روى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن امرأة من الأنصار قالت: لما توفى عثمان بن مظعون رضى الله عنه وغسل وكفن فى أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب. فشهادتى عليك قد أكرمك الله، فقال النبى ﷺ: «وما يدريك أن الله قد أكرمه؟» قال ﷺ: «أما هو فقد جاء باليقين، والله إنى لأرجو له الخير، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى»، فقالت المرأة: فوالله لا أزكى أحداً بعده أبداً» (٣).

كما أن غلاة الصوفية يخالفون منهج الإسلام فى نقطة جوهرية ألا وهى: مصادر التشريع حيث إن الإسلام يحصر تلقى الشريعة فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، أما هؤلاء فيجعلون مصادر التشريع فى الوحى المزعوم للأولياء فلكل ولى طريقة ومنهج خاص به يسير عليه مريدوه ويتبعونه حتى وإن تعارض مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكذلك المنامات واللقاء بالأموات والخضر عليه السلام(٤) والنظر فى اللوح المحفوظ والأخذ عن الجن الذين يسمونهم الروحانين. ويرد ابن تيمية على من يدعى منهم أن له طريقاً إلى الله لايحتاج فيه إلى محمد ﷺ وسنته أنه كافر ملحد، وإذا قال مثل قول بعض غلاتهم: أنا محتاج إلى محمد ﷺ فى علم الظاهر دون علم الباطن أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة فهو شر من اليهود والنصارى (٥).

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (١ / ٩٦ ـ ١١ / ٢٣٧).
(٢) النجم: ٣٢. (٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز (١٢٤٣).
(٤) الخضر: هو العبد الصالح الذى آتاه الله العلم ووردت قصته مع موسى عليه السلام فى سورة الكهف.
(٥) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (١١ / ١٢٥).

ويعتقد بعضهم أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هى عبادات العوام أما هم فيعتبرون أنفسهم من الخاصة ويشرّعون لأنفسهم شرائع خاصة كالذكر بهيئات وملابس مخصوصة وأذكار مبتدعة وهم بذلك يخالفون النبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم الذين كانت عبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقرآن والأذكار المشروعة والاجتماعات الشرعية فلم يجتمع النبى ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط لابكف ولابدف ولاسقطت بردته بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم والحديث، وقد كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الدين يجعلون من هذا السماع المحدث كالدف والكف والقصب أموراً من البدع المذمومة التى يكون للشيطان فيها نصيب وافر وهذا الحال الذى عليه هؤلاء المبتدعون نجده فى تفسير ابن عباس وابن عمر وغيرها من السلف فى قوله تعالى:﴿**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً** (١) **وَتَصْدِيَةً** (٢)﴾(٣) حيث كان المشركون يطوفون بالبيت يصفقون ويصفرون ويظنون بفعلهم هذا أنه عبادة وما هو عند الله عبادة قال تعالى ﴿ **وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**﴾(٤) (٥) وهذه الأذكار المبتدعة ما وضعوها إلا ليصرفوا الناس عن القرآن الكريم والتدبر فيه فهم يعتقدون أن فهم القرآن وتدبره يصرف النظر عن الله حيث يقول الشعرانى إن الله يقول: «..وما طلبتك إذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فإن معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك إلى جنتى.. فأين أنا إذا كنت فى جنتك مع الحور ..وما أمرتك بالتدبر إلا لتجتمع بقلبك علىّ وأما استنباط الأحكام فلها وقت آخر» (٦) فالقرآن فى زعمهم ما هو إلا رموز وأسرار لايفهمها إلا الخواص ومن يتعرض له يعاقبه الله، كما أولوه تأويلات باطنية خبيثة مثل تفسيرهم لقوله تعالى:﴿الجار

---

(١) المكاء: الصفير. (٢) التصدية: التصفيق باليد. (٣) الأنفال: ٣٥ .
(٤) الأنفال: ٣٤ . (٥) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (١١ / ١٦٣ ، ١٦٤).
(٦) الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر للشعرانى ص ٢١ .

ذى القربى﴾ قالوا: القلب، ﴿الجار الجنب﴾ قالوا: النفس، ﴿وابن السبيل﴾ قالوا: الجوارح.. وغيرها من التأويلات الفاسدة(١) التى تتعارض مع المعنى الصحيح المقصود (٢) فالقول بأن القرآن الكريم لايفهمه إلا خواصهم كذب على الله لأن الله يقول فى كتابه العزيز:﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾(٣) وقوله تعالى:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٤) فالغاية عندهم التلقى من الله مباشرة والوصول إلى مرتبة الاطلاع على أسرار الخلق فيقولون للشىء كن فيكون ويعتقدون أنهم إذا وصلوا إلى درجة الخواص هذه فإن الله يسقط عنهم التكاليف وهذا يخالف الدين الحق فهذا رسول الله ﷺ وهو خير البشر يجتهد فى العبادة يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار فهولا يملك أمر نفسه ولا أمر غيره ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾(٥) فالولاية فى الإسلام تقوم على التقوى والعمل الصالح والافتقار إلى الله وكما يعتقد هؤلاء المبتدعون فى الأولياء فى حياتهم ويحيطونهم بهالة من التعظيم والتهويل، فإنهم يجعلون لهم النفع والضرر بعد موتهم ويتبركون بقبورهم وأضرحتهم ويعتقدون فى قدرتهم على التصرف فى الكون فيذبحون لهم ويتمسحون

---

(١) ينقسم تفسير الصوفيين للقرآن إلى قسمين: تفسير صوفى نظرى بنى على نظرياتهم الفلسفية مثل نظرية وحدة الوجود حيث تدعو إلى القول بأن الله هو الوجود وكل ما حوله ظواهر وهذه النظرية تدعو إلى الحلول حيث يحل الله تعالى فى أوليائه وقد زعم ابن عربى أن عجل بنى إسرائيل قد حل فيه الإله وقال لافرق بين دين سماوى وغيره االكل يعبدون الإله الواحد المتجلى فى صور جميع المعبودات ـ حاشا لله (التفسير والمفسرون٢/٣٧٥)، وهناك التفسير الصوفى الفيضى: وهو لايتوقف على نظرية وإنما يظنون أنه قدرة أعطاها الله للشخص ينكشف فيه على معانى متناهية. وهذه التفاسير بناها المتصوفون على نظريات وتعاليم فلسفية بعيدة عن روح الدين لذلك حاولوا أن يطوعوا القرآن وفق أهوائهم فتعسفوا فى فهمه وخرجوا بشروحهم له عن ظاهر الدين الذى يؤيده الشرع وتشهد له اللغة. ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (فصلت:٤٠) قال: هو أن يوضع الكلام فى غير موضعه (أخرجه ابن أبى حاتم) ، وقال التفتازانى: النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزى .

(٣) ص: ٢٨ . (٤) محمد : ٢٤ . (٥) الجن: ٢١ .

بأضرحتهم وهذه كلها أمور من البدع ومداخل للشرك التى لم يرسل الله تعالى رسولاً إلا ليطهر القلوب منها (١)لذا فقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور أماكن للعبادة فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢) . وعن أم سلمة رضى الله عنها أنها ذكرت كنيسة رأتها بأرض الحبشة من حيث حسنها وتصاويرها فقال رسول الله ﷺ : «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله» (٣).

كما أن الصوفية يدعون إلى التواكل وترك العمل والسعى ويقول الإمام اللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد إن القصص التى يرويها هؤلاء المبتدعون عن كرامات أوليائهم يكثرون فيها من ذكر الطعام والشراب والكساء بغرض التسلية لأتباعهم الذين يفرطون فى الأسباب المشروعة للرزق ويغرقون فى التواكل والكسل ويترقبون الكرامات التى تشبع البطون والشهوات وهذا يخالف الشرع الإسلامى الحنيف الذى يحث على العمل والسعى وابتغاء الرزق والاقتداء بالأنبياء والرسل الذين كانوا يعملون ويأكلون من كسب أيديهم وهم خير البشر.(٤).

---

(١) يقول ابن القيم: من أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن الاستغاثة به أو سؤاله (فتح المجيد ١٦٨) ويقول ابن تيمية: الاستشفاع أو التوسل بالنبى ﷺ - وهو خير البشر على الإطلاق - لايكون إلا فى حياته فالتوسل والاستشفاع به هو طلب دعائه المقبول عند الله أو أن يكون معناه الإيمان به وتصديقه وطاعته ومحبته وهو ما أمر الله به ومن الجائز كذلك الاستشفاع بأهل الخير والصلاح فى حياتهم، أما التوسل بذاته فى حضوره أو مغيبه أو بعد موته فلم يعرف عند الصحابة والتابعين، وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أجدب المسلمون فى عهده وطلبوا الاستسقاء بالصالحين فلم يتوسلوا ويستسقوا بالنبى ﷺ لاعند قبره ولاغير قبره بل عدلوا إلى البدل واستسقوا بالعباس، فقال عمر : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. ولم يأتوا قبره ﷺ فيتوسلوا به فهذا لايجوز [مجموع الفتاوى ١/٣١٤-٣٢٢].

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (١٣٩٠)، وابن كثير فى البداية.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه (٤٣٤).

(٤) قال رسول الله ﷺ :«ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده. وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده ».[رواه أحمد فى المسند والبخارى فى صحيحه وفى الأدب المفرد وابن ماجة والنسائى فى سننيهما].

نظرة الشيعة للولي:

والشيعة(١) هم الذين شايعوا علياً على وجه الخصوص ونادوا بزعامته وخلافته هو ومن بعده وأن الإمامة لا تخرج عن أولاده وقد اختلفت هذه الفرق فيما بينها على الدرجة التي أولتها لعلى رضى الله عنه(٢). ومنهم السبائية(٣): الذين أدعوا أن علياً إله من دون الله كما يعتقد بعضهم أن علياً حل فيه جزء إلهى واتحد بجسده. ومنهم الغرابية(٤): وهم يعتبرون أن علياً أحق بالنبوة من النبى ﷺ - حاشا لله تعالى: ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾(٥) وهناك طائفة منهم قالت بإمامة علىّ بعد النبى ﷺ وأنه أشار إلى ذلك بالعين لا بالوصف، وطائفة أخرى زعمت أن النبى ﷺ نص بالإمامة من بعده لعلى بالوصف دون التسمية وأنه أحق فى ذلك من أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولا يجيزون ثبوت الإمامة من بعده إلا فى أبنائه من بعده ويقول ابن كثير فى البداية والنهاية فى ذلك: يفترى بعض جهلة الشيعة فى قولهم أن النبى ﷺ أوصى إلى علىٍّ بالخلافة من بعده وهذا كذب وافتراء عظيم لأنه يعمل على تخوين الصحابة الذين برأهم الله ورسوله ﷺ وأثبت لهم العدالة والصلاح فهم خير خلق الله تعالى بعد الأنبياء وإذا رجعنا إلى الإمام على رضى الله عنه لوجدناه كان ممن بايع يوم السقيفة لأبى بكر وكان مطيعاً له فلما قبضه الله وهو راض عنه بايع لعمر وكان معه يشاوره ويستقضيه فلما قُتل عمر وانحصرت البيعة فى ستة استأثر علىٌّ عثمان بالأمر على نفسه وبايعه راضياً مرضياً فلما قُتل عثمان أقبل الناس على الإمام علىّ ليبايعوه فامتنع عن

---

(١) الشيعة: هم أصحاب مذهب يدعو إلي موالاة علىّ وأهل البيت وهى فرق عديدة يزعم غلاتهم أن علياً إله من دون الله ويقدر الآن عددهم بنسبة ٢٠ ٪ من إجمالى المسلمين.

(٢) الشهرستانى فى الملل والنحل.

(٣) السبأية نسبة إلي ابن سبأ وهو أول من كفر من غلاة الشيعة وقال: علىٌّ رب العالمين.

(٤) الغرابية: طائفة سميت بذلك لأنهم ذكروا أن علياً كان يشبه النبى ﷺ كشبه الغراب بالغراب فاشتبه الأمر علي جبريل عليه السلام فنزل بالوحى علي النبى بدلاً من علىّ.

(٥) طه: ٥٢ .

إجابتهم حتى ألحوا عليه ففر منهم إلى بستان بنى عمرو بن مبذول، وأغلق بابه، فجاء الناس فطرقوا الباب ودخلوا عليه وكان فيهم طلحة والزبير فقالوا: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب مكرهاً.(١) وقد كان علىٌ رضى الله عنه يحب أبا بكر وعمر محبة شديدة فقد سئل الإمام على بن أبى طالب: أى الناس خير بعد النبى ﷺ؟ فقال: أبو بكر، سئل: ثم من؟ قال: عمر، وقال على: وخشيت أن أقول عثمان، فقيل له: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين(٢). وعن علىٍ رضى الله عنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر(٣). وعن علىٍ رضى الله عنه قال: لا يفضلنى أحد على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى(٤).

وقد ذكر ابن سعد فى الطبقات مناظرة دارت بين الحسن بن الحسن بن علىٍ رضى الله عنه وبين نفرٍ من الشيعة ممن يغلون فيهم، فقال الحسن: ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال له رجل من الشيعة: إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته. فقال الحسن ويحك! لو كان الله مانعاً بقرابة من رسول الله ﷺ أحداً بغير طاعة الله لنفع بذلك أقرب أقاربه عمه أبا لهب الذى قال الله تعالى فيه: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾(٥) والله إنى لأخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين، وإنى لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم. فقال له أحدهم: ألم يقل رسول الله ﷺ لعلى: منْ كنت مولاه فعلى مولاه؟(٦) فقال الحسن: أما والله أن لو يعنى بذلك الإمارة والسلطان لأفصح لهم رسول الله ﷺ

---

(١) ابن كثير فى البداية.
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه.
(٣) رواه أحمد فى مسنده (٨٣٦/٨٣٧/٨٧٩) وهى صحيحة الإسناد.
(٤) رواه عبد الله بن أحمد فى السنة وابن عاصم فى السنة والسفارينى فى لوائح الأنوار.
(٥) المسد: ١ ـ ٣ .
(٦) الحديث رواه [الترمذى فى السنن (٣٧١٣)] كما روى الطبرانى عن زيد بن أرقم عن النبى ﷺ: «فمن كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعنى علياً» .

به كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة والصيام ولقال لهم: أيها الناس هذا وليكم بعدى، فإن رسول الله ﷺ كان أنصح الناس للناس، ولو كان الأمر كما تقولون أن الله ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر بعد النبى ﷺ لكان علىٌ أعظم الناس فى ذلك خطئاً وجرماً لأنه ترك ما أمره به الله ورسوله ﷺ لأنه فى هذه الحالة كان عليه أن يقوم فيه كما أمره رسول الله ﷺ أو يعذر. وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بما سيجرى من أمر على والشيعة الذين يوالونه من دون الله ورسوله ﷺ ويفضلونه على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وما كان مِنْ شأن مَنْ هم على النقيض منهم وهم الخوارج الذين حاربوا علياً وكفروه وسبوا الصحابة رضوان الله عليهم فعن علىٍ رضى الله عنه قال: دعانى رسول الله ﷺ فقال: «يا على إن فيك مثلاً من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا(١) أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس به»، قال على رضى الله عنه: إلا وأنه يهلك فىَّ اثنان: محب مفرط، ومبغض مفتر يحمله شنآنى(٢) على أن يبهتنى(٣).

●●●●

(١) بهته: قذفه بالباطل.
(٢) شنآن: كراهية.
(٣) أخرجه البزار وأبو يعلى والحاكم فى المستدرك.